كلمة العدد

من المسئول عن هؤلاء الضائعين

أسرة التحرير

في طريقنا إلى الفلبين كان لابد لنا من الهبوط في بومباي لتغير الطائرة، وكان علينا أن نقضي معظم الليل في ردهة المطار بانتظار موعد الطائرة التي ستقلنا إلى مدراس.. وبينما أنا أغالب إغفاءة خفيفة أخذ سمعي دوي بعيد ترافقه ضجة موزونة ثم ما زال يقترب شيئاً فشيئاً حتى انجلى لنا عن موكب يضم قرابة العشرين رجلاً، كلهم من العرق الأوربي في الأبيض البشرة، الأزرق العيون، الفارع الهيكل. كان أحدهم حدثاً لا يتجاوز الخامسة عشرة، و بينهم واحد في سحنة الهنود.

وقد استرعى انتباهي من هؤلاء أزياؤهم الغريبة، فهي عبارة عن سراويلات فصلت على الطريقة الباكستانية، وفوقها قمص تنسدل إلى الركب. وكانت رؤوسهم حليقة كلها. إلا امتداداً كذيل الثعلب، يبدأ من وسط الرأس ثم يتدلى إلى مؤخرة الرقبة.

كان بعض هؤلاء يحمل طبولاً على شكل اسطواني، ينتهي طرفاه بفتحتين ضيقتين ألصقت بهما قطعتان من الجلد عليهما يضرب حاملوها..

وينطلق الجميع في أناشيد محفوظة يكررونها وهم يترنحون في انتظام، وكلما انتهوا إلى فقرة منها معينة قفزوا معاً إلى الأعلى، ثم يعودون إلى اهتزازاتهم الأولى..

وهكذا جعلوا يبدئون ويعيدون حتى نال منهم الإرهاق، وجعلت أصواتهم تخفت من التعب.. فإذا مما استعادوا بعض قدرتهم أعادوا العمل ضرباً وترنحاً و قفزاً و إنشاداً..

لم أستطع بادي الرأي تفسير عملهم.. وخطر في بالي أنهم مجموعة من الضائعين الذين يتكاثرون هذه الأيام في الشوارع أوربة وحواضر أمريكة، قد أقبلوا على الشرق في سياحة ترفيهية، فهم يجوبون شوارع بومباي على هذا الوضع، إعراباً على تمردهم على الحضارة الغربية، التي أعطت الإنسان الغربي كل وسائل الرفاه. وسلبته مقابل ذلك كل أسباب الطمأنينة. إلا أني لم ألبث أن هديت إلى تفسير الصحيح حين أقبل رفيق رحلتي الدكتور ف. عبد الرحيم، فبين لي أن هؤلاء نموذج لكثيرين من الغربيين الذين فرغت قلوبهم من سكينة الإيمان فراحوا يهيمون على وجوههم، حتى احتضنهم دعاة الوثنية الهندية، فاعتنقوا بعض مذاهبها، ثم جاءوا إلى الهند ليمارسوا شعائر دياناتهم الجديدة على النحو الذي ترى .. فهم يؤدون هذه الحركات داخل المعابد، ولعلهم يريدون من إجرائها في الشوارع تذكير الناس بها ودعوتهم إلى إحيائها..

وسرعان ما وجدتني مشدوداً بما شاهدته من هذه الغرائب إلى التأمل في ما وراءها من عبر وأحداث:

لقد وثبت بي الذاكرة إلى منظر الطرقيين في العديد من ديار المسلمين، وقد تحلقوا حول (الراقص المولوى) يعزفون له ويقرعون وينشدون، وراح هذا يدور في وسطهم على قدم واحدة، كخذروف الوليد، وقد انفتحت (تنورته) الواسعة حتى أشبهت مظلة الطيار الهابط من الأعالي ..

ثم تتابعت على الرؤى حتى وقفت بخيالي على واحدة منها لم تزل تعمل عملها في صدور الغافلين .. إنها صورة هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً فكان من بين مبتدعاتهم تلك الحلقات الأخرى، التي يتوسطها (قائد السيرك) فتأخذ في التمايل وفق إشارته، وقد تصاعدت من صدورها همهمات تبدأ واضحة باسم الله، ثم ما تنفك تتغلغل في الغموض حتى تستحيل زفيراً وشهيقاً لا مفهوم له، ثم لا تفتر ولا تهدأ إلى أن يأخذها الإرهاق، الذي يأخذ هؤلاء الراقصين في ردهة مطار بومباي..

فمن هنا إذن .. من رقصات الهنادك والبوذيين لآلهتهم، قد تسرب هذا الرقص الطرقي، الذي يسميه المضللون والمضللون في بلاد المسلمين (حلقات الذاكرين)!..

ثم ألفيتني أتساءل: هذا الجيل المتمرد على حضارة المادة والشهوات، وعلى تعاليم الكنيسة، بعد أن تمردت الكنيسة نفسها على وحي الله، حتى صارت تعاليمها مجموعة من مقرات رجال الدين..

هذا الجيل الذي تتخطفه البوذية والبرهمية والهيبية .. و و.. لماذا أغفله دعاة الإسلام، فلم يفتحوا أعينه على نور ربه؟ أليس الإسلام هو خاتم رسالات الله إلى عباده؟ ..

فمن المسئول عن تبليغهم حقائقه، إذا لم يقم المسلمون من أولى العلم وهذه المهمة؟.

ولا حول ولا قوة إلا بالله!..

محمد المجذوب